سلسلة الأنوار
ISSN 2716-7852
المجلد 08، العدد 02 – 20 ديسمبر 2018

Enlightenment collection's
ISSN 2716-7852
V :08, N° :02 – 20 December 2018

جهود المدرسة التاريخية السودانية المعاصرة في تحقيق ودراسة المخطوطات في الفترة من 1504م – 1821م

Efforts of Sudanese temporary historical school in investigating and studying manuscripts in the period from 1504 to 1813

فتح الرحمن الطاهر عبد الرحمن حمد*

جامعة البحر الأحمر /السودان (fatah.conce@yahoo.com)

تاريخ الاستلام : 2018/09/22 ؛ تاريخ القبول: 2018/11/26 ؛ تاريخ النشر : 20 /12/ 2018

الملخص

هدف هذا البحث إلي دراسة جهود المؤرخين السودانيين المعاصرين في تحقيق ودراسة المخطوطات في الفترة 1504م- 1821م. وبيان أن باكورة ذلك الانتاج السوداني قد استمدت نهجها من التجربة العربية في كتابة التاريخ والتي ارتبطت بدخول العرب وانتشار الاسلام بالسودان.

تأتي أهمية البحث من أهمية دراسة التراث المخطوط الذي تذخر به دار الوثائق القومية السودانية بالإضافة إلي بعض المؤسسات, عبر اجتهادات المؤرخين السودانيين المعاصرين, كما أن البحث يقدم دراسة علمية موثقة تعتبر اضافة حقيقية إلي المكتبة العربية وتغطي جانباً مهماً من الدراسات التي لم تنال حظها من البحث الكافي.

الكلمات المفتاحية: المدرسة التاريخية السودانية، المخطوطات، المدرسة التاريخية المعاصرة.

Abstract

The study aimed to study efforts of Sudanese temporary historical school in investigating and studying manuscripts in the period from 1504 to 1821. It is also aimed to explain that efforts which took its methodology from Arab experiment in writing history which is related to Arab entering and spreading of Islam in Sudan. The importance of this study has come outfrom the importance of studying manuscripts heritage that are found in the Sudanese international documents house, in addition to some Institutes through Sudanesetemporary historians efforts. The study also presented scientific documented study which is considered as real addition for Arab libraries and coversimportance side which has not yet tackled. The researcher has adopted historical method to explain Sudanese temporary investigation of manuscripts aswell as descriptive analytical method to discuss Sudanese experiment..

Keywords : The Sudanese Historical School, manuscripts, the contemporary historical school...

* **الباحث المُرسل:**

خلفية تاريخية للتراث المخطوط بالسودان وأنواعه:

نشأة وقيام دار الوثائق القومية السودانية:

كانت بداية الفكرة لإنشاء جهة تقوم بحفظ الوثائق الحكومية في السودان إلي عام 1916م, وبدأ تنفيذ هذه الفكرة عام 1921م بتكوين لجنة المحفوظات التي كانت مهمتها جمع وتنظيم الوثائق والمستندات المالية. وفي عام 1948م تم نشاء مكتب لجمع وتنظيم الوثائق التاريخية والحكومية بموجب قرار السكرتير الاداري لحكومة السودان, ثم تكوين لجنة محفوظات السودان التي وضعت في عام 1949م اسس وإجراءات تنظيم الوثائق والمستندات.

وقد تعاقب علي إدارة محفوظات السودان عدد من الموظفين الإنجليز وعندما آلت ادارتها إلي السيد ب.م. هولت, وضع الاساس الاول لمسار الارشيف السوداني, واستحدثت وظفية امين المحفوظات, ليشغلها سوداني وفقاً لسياسة "سودنة " الوظائف الحكومية قبيل الاستقلال بموجب اتفاقية الحكم الذاتي التي عقدت بين الحركة الوطنية السودانية وإدارة الحكم الثنائي بالسودان في ذلك الحين, وعين محمد إبراهيم ابو سليم عام 1955م في وظيفة مساعد امين المحفوظات, وفي العام نفسه حل محل السيد ب.م. هولت ليكون اول سوداني يشغل وظيفة امين محفوظات السودان.

وقد صدر قانون دار الوثائق المركزية في عام 1965م, الذي تم بموجبه تحويل مكتب محفوظات السودان إلي دار الوثائق المركزية, وأحدث هذا القانون وضعاً جديداً في هيكل ومهام واختصاصات الدار, وحدد الضوابط التي تحكم حركة الوثائق وشروط الاطلاع واقتناء الوثائق الحكومية, واستناداً علي هذا القانون صدرت لائحة دار الوثائق القومية عام 1966م, التي صاحب صدورها عدد من الاوامر المكتبية[1].

وفي عام 1982م صدر قانون دار الوثائق القومية, وأصبحت بموجبه هيئة ذات شخصية اعتبارية تدار بواسطة مجلس إدارة, يرأسه الوزير الذي يسميه رئيس الجمهورية, وعدل اسمها إلي دار الوثائق القومية, واسم وظيفة مديرها إلي امين عام, وتكون المجلس الاداري من مجلس إدارة, برئاسة الوزير

[1] علي صالح كرار وإخلاص مكاوي؛ المخطوطات العربية في دار الوثائق القومية السودانية "فهرس منتقي", وقد شارك في هذا العمل كل من معهد المخطوطات العربية "المنظمة العربية للتربية والفنون والثقافة والعلوم" بالقاهرة, وكذلك دار الوثائق القومية السودانية بالخرطوم, 1422هـ – 2001م, ص 17.

والأمين العام علي قمة الجهاز التنفيذي, يساعده مديرو ادارات الوثائق الحكومية, والمحفوظات, والإدارة الفنية, وادرة العلاقات العامة والتدريب, والشئون المالية والادارية[2].

المخطوطات في السودان تاريخها ومصادرها وحفظها:

يعتبر التراث المخطوط ثروة لها قيمتها وتأثيرها علي المجتمع في مختلف ضروب المعرفة. وقد ازدهرت الحضارات وتطورت الثقافات علي الرغم من بدائية وسائلها في بادئ الامر قبل ظهور المطابع الحديثة. وتعد المخطوطات في السودان كسائر البلدان العربية والإسلامية ثروة تراثية قيمة ساهمت في نشر الثقافة العربية والإسلامية.

ارتبطت نشأة المخطوط السوداني ببروز معالم الثقافة العربية في السودان في عهد المملك الاسلامية. وقد سبق ذلك توافد العلماء من الاقطار العربية للسودان, وتأسيس مراكز التعليم, ووفود ابناء السودان من الأزهر وتدريس العلوم الاسلامية. ثم نشطت حركة جمع الكتب ومحاولات التأليف التي تركزت في البداية علي الشروحات والمختصرات علي الفقه والعقيدة.

بقيام الممالك الاسلامية في سنار ودارفور وتقلي في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين برزت معالم الثقافة العربية, وبصورة اكثر وضوحاً وساهم في ذلك السلاطين بإغراء العلماء بالهبات واقطاعات الارض للتفرغ لنشر العلم حتى توافد العلماء من مصر والحجاز, ومن المغرب واليمن وبغداد, ورحل ابناء البلاد إلي الازهر, وعند عودتهم للبلاد شرعوا في عقد حلقات الدروس وتأسيس مراكز العلم, وعرفت حلقات الدروس مؤلفات ذلك العصر , ففي الفقه انتشرت "رسالة ابن ابي زيد القيرواني" و"مختصر خليل" ومتن الاخضري. وفي العقيدة عرفت "السنوسية" وفي القراءات "الجزرية" و "الخرازي" كما راجت بعض مؤلفات الشاذلية والقادرية, ونشطت حركة جمع الكتب من مصر والحجاز واليمن والمغرب والعراق لتبين لنا نوع الثقافة التي نبتت جذورها في السودان.

ويرجع تاريخ المخطوطات والوثائق العربية في السودان إلي فترتي مملكة الفونج والفور 1505م – 1821م, والتي بفضلها صارت اداة من ادوات الحكم والإدارة فيه[1].

نشأت دولة الفونج في اوائل القرن السادس عشر 1504م وضمت إليها كل من بلاد البجة في شرق السودان وكردفان في غربه, وكانت تحكم بالشريعة الاسلامية, ولذلك فقد انتشرت فيها الثقافة

---

[2] علي صالح كرار واخلاص مكاوي؛ مرجع سابق, ص 18.

[1] محمد إبراهيم ابو سليم؛ بحوث ومقالات في تاريخ السودان, ط1, ص 18.

الاسلامية والعربية , ونشطت بذلك حركة التدوين والنسخ لتشمل المؤلفات داخل السودان, وتلك التي في الحجاز ومصر, ونقلت لنا كتب تلك الفترة نماذج يمثلها كتاب "الطبقات في حضرة الاولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان" لمؤلفه محمد النور بن ضيف الله, وهو يتحدث عن انتشار الاسلام الذي ساهم فيه العلماء والمتصوفة والمساجد التي كانت دوراً للتعليم. كما سجل الكتاب حركة التصوف في السودان, وأخبار الاولياء والصالحين والشيوخ وتلاميذهم. والكتاب يعكس بوضوح اللهجة المحلية في تلك الفترة[2].

ظهرت صحوة كبيرة في مجال العلوم النقلية في تلك الفترة دون الاجتهاد, فظهرت كتب الاختصارات والحواشي والشروح, بالإضافة إلي اهتمام الدعاة بالتدريس والتحفيظ. وانتشرت كتب المالكية كـ : "رسالة ابن ابي زيد القيرواني", و "مختصر خليل بن اسحاق", و "المدونة" و " شرح عبد الباقي الزرقاني علي مختصر خليل", و "مختصر الاخضري في العبادات"[3]. وفي التوحيد الف الشيخ محمد بن احمد ابن الشيخ طه الركين "الجواهر", وانتشرت السنوسية, وازدهرت في تلك الفترة علي يد محمد عيسي بن سوار الذهب, تلميذ التلمساني, القراءات والتجويد والتلاوة ورسم القرآن[4].

وفي الفترة من 1821م– 1885م والتي تعرف بفترة الحكم التركي المصري بالسودان فان حركة التأليف تعد امتداداً لسابقتها, ومن المؤلفات التي ظهرت فيها "رسالة في الكيمياء", و "رسالة في الروح الاثني عشر", للشيخ عبد المحمود نور الدائم, و "الاسعاف في مولد سيد الاشراف", للشيخ محمد عبد الكريم السمان , و "ارجوزة في الطبقات" للشيخ إبراهيم عبد الرافع , ومؤلفات الشيخ عبد المحمود نور الدائم, ورسائل الصوفي المغربي احمد بن ادريس وتلاميذه[1].

وقد نشطت حركة التأليف في العهد التركي, الذي شهد ظهور مؤلفات رجال الطرق الصوفية المتأثرة بالحركات الاصلاحية في العالم وهؤلاء طرقوا مجالات جديدة في مؤلفاتهم, ولكن هذه الحركة قل اثرها في فترة المهدية للانشغال بالجهاد وتقييد حرية الفكر.

وقد تزايد عدد المخطوطات في السودان ابان فترة الدولة المهدية في السودان والتي خلفت العديد من المخطوطات بالإضافة إلي مؤلفات الامام المهدي نفسه, وكتاب "الآيات البينات" لحسين زهرا, و

---

[2] علي صالح كرار واخلاص مكاوي؛ مرجع سابق, ص 20.

[3] محمد النور بن ضيف الله: الطبقات في خصوص الاولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان: تحقيق يوسف فضل حسن, ط5, ص 4.

[4] نفس المصدر؛ ص 1 وما بعدها.

[1] يحي محمد إبراهيم؛ المخطوط السوداني: النشأة والتطور, مجلة دراسات افريقية, العدد 13, يونيو 1995م, 187 وما بعدها.

"الانوار السنية" للحسن سعد العبادي, و"نصيحة العوام" لاحمد العوام وهو مصري عاش في السودان وناصر الثورة المهدية, و كتاب " سعادة المستهدي بسيرة الامام المهدي", و"الطراز المنقوش في قتل يوحنا ملك الحبوش" لإسماعيل الكردفاني[2].

وقد بذلت العديد من الجهود لجمع وفهرسة المخطوطات السودانية, ففي مطلع ستينيات القرن العشرين قادت دار الوثائق القومية مشروعاً لجمع المخطوطات العربية الاسلامية من شتي أنحاء السودان, وذلك عن طريق التصوير أو الاهداء أو الشراء. وقد حظي هذا المشروع باستجابة كبيرة, وتجمعت لدي الدار آلاف المخطوطات, خصوصاً من المكتبات التي يملكها افراد أو اسر أو بيوتات. غير أن هذه المخطوطات ظلت دون فهرسة, وظل بقاؤها هكذا عائقاً دون الاستفادة الحقيقية منها, ومن ثم كان غياب فهرس تحليل علمي لها هاجساً ملحاً علي الكثيرين من داخل السودان وخارجه.

ولكن وبجهود من دار الوثائق القومية وبالتضامن مع بعض المؤسسات مثل اليونسكو ومعهد المخطوطات العربية فقد اثمر هذا الجهد في وضع منهجية خاصة بفهرسة المخطوطات لدي دار الوثائق القومية, وقد اعدوا فهرس انتقائي لبعض مخطوطاتها التي شملت جميع العلوم, ووضعوا ثلاث كشافات بالموضوعات والعناوين والاسماء للمؤلفين والنساخ[3].

نماذج لجهود رواد المدرسة التاريخية المعاصرة في دراسة وتحقيق المخطوطات:

جهود المؤرخ المعاصر بروفيسور يوسف فضل حسن:

يقول المؤرخ السوداني المعاصر بروفيسور يوسف فضل محمد:" سارت باكورة الانتاج السوداني في علم التاريخ علي هدي التجربة العربية في كتابة التاريخ , ويمكن تمثيل التجربة السودانية في ذلك العهد بـ كتاب (طبقات ود ضيف الله), وكتاب طبقات ود ضيف الله: الذيل والتكملة, ثم ملوك سنار أو (مخطوطة كاتب الشونة), وتعطي هذه الكتب الثلاثة صورة جيدة عن تطور كتابة التاريخ خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر[1].

---

[2] محمد إبراهيم ابو سليم؛ الحركة الفكرية في المهدية, دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع, 1981م, ص 54.

[3] اخلاص مكاوي؛ تقرير عن المخطوطات السودانية بدار الوثائق القومية, بتاريخ 2016/8/22م, ص 3.

[1] يوسف فضل حسن؛ ملامح من مصادر تاريخ مملكة سنار والسلطنات الإسلامية في سودان وادي النيل 1450م – 185م, ورقة علمية قدمت في المؤتمر العلمي حول سنار المدينة – الدولة – الحضارة, الذي نظمته جامعة النيلين بقاعة الصداقة في الفترة من 31 مايو إلي 1 يونيو 2016م, ص10.

كتاب طبقات ود ضيف الله: يعتبر **كتاب الطبقات في خصوص الاولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان** اول كتاب عربي سوداني أرَّخ لجزء كبير من سودان وادي النيل, وتتضح القيمة التاريخية لهذا الكتاب في أن مؤرخه محمد النور بن ضيف الله (1727م– 1809م) قد ولد في حلفاية الملوك, حاضرة مملكة العبدلاب, والمركز العلمي الديني الاول في دولة سنار, وفي حلفاية الملوك نهل من كافة العلوم الدينية المنتشرة في السودان خاصة مذهب الامام مالك الذي صار حجة فيه, وتاثر بالبيئة الصوفية الغالبة علي المجتمع. وكان المؤلف فقيهاً معتبراً وقاضياً عالماً. ويفهم من بعض الاشارات المنثورة في كتابه انه اطلع علي كتب كثيرة منها رسالة ابن ابي زيد القيرواني, ومختصر خليل بن اسحق, ومؤلفات عبد الوهاب الشعراني وابن عطاء الله السكندري, كما اطلع علي اسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير. ووصفه احمد بن الحاج ابو علي, كاتب الشونة, في مؤلفه تاريخ ملوك سنار بأنه: حافظ المذاهب والشريعة, المحقق والمحرر, شيخ الاسلام, وله أيضاً نبذة في السيرة[2].

تتضح القيمة التاريخية لهذا الكتاب من أن مؤلفه قد عاصر بعضاً من حوادثه, ودون في كتابه تفاصيل ما شاهد وسمع, وسجل بعض مما سمعه ممن شاهد وسمع أو تواتر ذكره عند الناس , كما يبدو انه نقل من بعض الوثائق والاجازات. ولعل هذا الكتاب هو المصدر الوحيد الذي عني بانتشار الاسلام والثقافة العربية في ذلك العصر, كما انه حوي مادة تاريخية ثرة تصلح اساساً للبحث المستفيض في تاريخ السودان الثقافي والاجتماعي والسياسي, ويلاحظ القارئ لهذا الكتاب "**الطبقات**" غزارة مادته وتنوع موضوعاته وطرافة عرضه وأصالة اسلوبه.

ويقول المؤرخ المعاصر والمحقق لهذا الكتاب يوسف فضل حسن: "كان الحافز الاول لتأليف الكتاب دعوة من زملائه ليؤرخ لهم **ملك السودان** وان يذكر اوليائها الأعيان فاقتدي بمن تأثر بهم من المحدثين والفقهاء والصوفية والمؤرخين ممن الفوا في التاريخ والمناقب امثال احمد المقري. ولا بد أن يكون المؤلف قد تأثر بكتاب الطبقات الكبري لعبد الوهاب الشعراني, ولطائف المنن لابن عطاء الله السكندري, الذين روي عنهما الكثير من الأخبار وكذلك طبقات الشافعية للسبكي"[3].

وأوضح ابن ضيف الله منهجه في الكتابة فيقول: "وأردت أن اجمع هؤلاء الاعيان في معجم واذكر العلماء علي حدة, وعلماء التوحيد علي حدة, وقراء القرآن والنجباء والشعراء واذكر الملوك, ابينهم

[2] نفس المرجع؛ ص 10.

[3] يوسف فضل حسن؛ مرجع سابق, ص 11.

بحروف الهجاء". وكما يقول يوسف فضل فان المؤلف لم يفرد ترجمة منفصلة لملك أو شاعر بل جاء ذكرهم في ثنايا التراجم الاخري.

وقسم المؤلف الكتاب إلي ثلاثة اقسام رئيسية: الاول منها خطبة الكتاب ونبذة عن غرض الكتاب, والثاني يؤرخ في ايجاز شديد لنشأة سلطنة سنار وأسماء العلماء والمتصوفة الذين وضعوا أساس التعاليم الاسلامية في السلطنة. وفي القسم الثالث كان الحديث عن العلماء والأولياء الذين بلغ عددهم نحو مائتين وسبعين شيخاً.

اهتم عدد كبير من العلماء والباحثين, منهم الشيخ احمد السلاوي, مفتي المذهب المالكي في العهد التركي المصري, والذي كان مهتماً بالتعليم والعلماء, ولعله كان وراء تأليف كتاب تاريخ ملوك سنار. وكان احمد السلاوي من المعجبين بكتاب الطبقات, الا انه لم يكن راضياً فيما يبدو عن ما احتواه من مبالغة في الترويج للكرامات وخوارق العادة, فكان أن طلب من الشيخ إبراهيم عبد الدافع – نائب الشرع واحد منقحي كتاب تاريخ ملوك سنار– أن يكتب مضمون الطبقات رجزاً, فكتبها الراجز في ثلاثمائة وخمسة أبيات, تولاها الشيخ احمد السلاوي بالشرح الموجز. وبلغ عدد التراجم في هذا السفر ثلاثمائة وستة عشر علماً, وكان عدد ما اضافه لما ترجم له ابن ضيف الله ستة وخمسين علماً. وحقق مخطوطة هذا الكتاب البروفيسور يوسف فضل حسن ومحمد إبراهيم ابو سليم الذي كان مديراً لدار الوثائق القومية السودانية, وقد قاموا بتسميته إلي "**طبقات ود ضيف الله: الذيل والتكملة**" , وقد صدر عن معهد الدراسات الافريقية والآسيوية التابع لجامعة الخرطوم عام 1982م.

ويري يوسف فضل "أن اصدار هذا المخطوط بهذه الصورة يعيد إلي الذاكرة منهجية عربية اسلامية تتمثل في امور ثلاثة: اضافة مادة جديدة, كتابة النص رجزاً, واطلاق عنوان جديد يميزه عن العنوان القديم. وبهذا قد حقق الشارح والراجز للمخطوط اعتدالاً وصبغة تاريخية ما كانت عليه"[1].

اما كتاب **تاريخ ملوك سنار** أو **مخطوطة كاتب الشونة** هو اول عمل تاريخي في هذا العهد, وعرف بأكثر من عنوان في النسخ الخطية المختلفة المنتشرة داخل السودان وخارجه. وترجح القرائن التي اعتمد عليها البروفيسور مكي شبيكة أن مخطوطة احمد بن الحاج ابو علي – **كاتب الشونة**– هي النسخة الاصلية لتاريخ سلطنة سنار والعهد التركي المصري. وباسم مؤلفه الاول اشتهر عنوانه **مخطوطة كاتب الشونة**. وقد حظي الكتاب بإضافة مادة جديدة له وتنقيح من احمد محمد جنقال,

[1] نفس المرجع؛ ص11.

والزبير ود ضوَّه, وابراهيم عبد الدافع, وكلهم من الفئة المستنيرة في ذلك الوقت وكانوا علي صلة حسنة بحكام البلاد من الاتراك والمصريين.

ويقول المؤرخ المعاصر يوسف فضل أن الباحثون قد تنبهوا إلي اهمية مخطوطة تاريخ ملوك سنار منذ أن وقف عليها الكولونيل ستيورات عند كتابته تقريراً للحكومة البريطانية عام 1883م عن حالة السودان فجر ثورة الامام المهدي علي الحكم التركي المصري في السودان, وما فتئ ذلك الكتاب يشكل مصدراً مهماً لكثير من الدراسات عن تاريخ مملكة سنار والحكم التركي في السودان مثل كتاب **جغرافية وتاريخ السودان** لنعوم شقير 1903م , ومنه نقل بدج في كتابه **السودان المصري**, وعليه اعتمد جاكسون في كتابه **سن النار**, واستعان به ماكمايكل في كتابه **تاريخ العرب في السودان** ولخص جزءاً منه, واستفاد منه يوسف فضل في تحقيق كتاب **الطبقات**. ونشرت مخطوطة هذا الكتاب في طبعتين محققتين: الاولي بعنوان **تاريخ ملوك السودان** لمكي شبيكة عام 1947م, والثانية للشاطر بصيلي عبد الجليل بعنوان **مخطوطة كاتب الشونة أو تاريخ السلطنة السنارية والادراة المصرية في السودان**. وقد اعد يوسف فضل حسن تحقيقاً جديداً لهذا الكتاب صدر خلال هذا العام 2018م.

هذا الكتاب يمكن تقسيمه إلي قسمين: اولهما يؤرخ لسلطنة سنار, والثاني للإدارة التركية المصرية. وقد بيَّن احمد بن الحاج ابو علي غرضه من تأليف الكتاب في ديباجته " اما بعد فاني رأيت تواريخ للأقدمين في عد سني الملوك السابقين وأحببت أن اجمع إلي ذلك شيئاً من ابتداء عمارة سنار, واذكر ما كان فيها من ملوكها وعلي ما سمعته الاذن وشوهد في اخر ملكهم بالأعين". ويعطي الكتاب تفاصيل دقيقة عن العهد التركي المصري مستفيداً من صلات المؤلفين الاربعة الذين شغلوا وظائف في الدولة وتابعوا احوال البلاد عن كثب[1].

يري يوسف فضل حسن أن الكتب الثلاثة تسير علي هدي المنهجية التاريخية العربية في التاليف, ويغلب عليها التقليد, فكتابا **طبقات ود ضيف الله, وطبقات ود ضيف الله: الذيل والتكملة** اهتديا بنسق الطبقات الكبري, واخذ **تاريخ ملوك سنار** بنظام الحوليات. ولعل نظرة سريعة للكتب الثلاثة تعطي فكرة عن طبيعة المصادر السودانية في ذلك العهد فالكتاب الاول **الطبقات**, ورغم أن مؤلفه اراد به التاريخ إلا انه حاد به عن المنهجية التاريخية وجعل من تراجم الاولياء والصالحين شغله الشاغل علي نسق طبقات الشعراني, واستطرد في ذكر الكرامات وخوارق العادات وتناول هذه الظواهر بمنهج لا تاريخي حيث لا تنتهي سلطة الولي أو الشيخ في زمان محدد وإنما تستمر وتنفع

[1] يوسف فضل؛ مرجع سابق, ص 12.

وتضر حتى بعد موته. اما **الذيل والتكملة** فقد كان محاولة لتجاوز لا تاريخانية نص **الطبقات** الاصلي وفي هذا تطور للذهنية التاريخية عند إبراهيم عبد الدافع والشيخ احمد السلاوي, وهو ما وصل قمته عند احمد بن الحاج ابو علي الذي جعل لكل شيخ أو حاكم فترة تبدأ وتنتهي, لتبدأ فترة جديدة. فيقوم كتابه, **مخطوطة كاتب الشونة**, علي التسلسل الزمني لحكام السودان وملوكه وما شهدته البلاد من احداث تاريخية.

نهج التحقيق عند يوسف فضل:

يقول يوسف فضل انه ولتشعب نسخ مخطوطة كاتب الشونة وما طرأ عليها من اضافات وتنقيح فقد رأي أن يبدأ أولاً بتحديد معالم النهج الذي يمكن أن يسير عليه والقواعد التي يمكن أن يتبعها في التحقيق, ويتلو ذلك تقديم تعريف لكل نسخة, ثم ترجمة لكل مؤلف ومنقح لأي من هذه النسخ.

إن قواعد التحقيق وموجهاته في أن يكون متن الكتاب المحقق اقرب إلي الشكل والمضمون الذي تركه مؤلفه عليه. ويشمل ذلك: التحقق من عنوان الكتاب, واسم المؤلف ونسبة الكتاب اليه. وفي سعي المحقق لتحقيق ذلك لا بد له من مهارات متنوعة تعينه علي بلوغ مرامه. ويقول يوسف فضل انه استعان في ذلك بآراء من كتبوا في هذا الموضوع مثل عبد المجيد عابدين*. وتتلخص هذه المهارات في سبع نقاط:

أولاً: معرفة انواع الخط العربي , وأنواع الورق , وكتابة الحواشي شرحاً وتحليلاً واستدراكاً.

ثانياً: الكشف عن مواضع التلف والتزييف . وذلك لمعرفة ما إذا كان النص المراد تحقيقه صحيحاً اصيلاً أم مزوراً.

ثالثاً: التنبيه علي النصوص المحرفة أو المصحفة ويندرج تحت هاتين النقطتين الالتباس الذي ينشأ في نقط الحروف المتشابهة: كالعين والغين.

رابعاً: المفاضلة بين النسخ فأعظمها قدراً ما كتبه المؤلف ووقع عليه أو املاه علي طلابه, أو أجازه وتعرف بالأم. ويلي النسخة الام في الدرجة النسخ المنقولة عنها وإذا تعددت النسخ رتبت حسب اصالتها وقِدَمها – أي قربها من عهد المؤلف.

خامساً: معرفة حدود التصرف في نص المؤلف ويعني ذلك وجوب احترام رواية المخطوط, اذ أن متن الكتاب حكم علي المؤلف وحكم علي عصره. ويدعوا بعض المؤلفين إلي وجوب ترك الخطأ

* عبد المجيد عابدين؛ مزالق في طريق البحث اللغوي والادبي وتوثيق النصوص, نقلاً عن بنت الشاطئ, عائشةعبد الرحمن, مذكرات في مناهج البحث, القاهرة 1983م.

الصادر من المؤلف (أو المنقح) في موضعه علي أن ينبه المحقق له في الحاشية ويذكر وجه الصواب. اما الآيات القرآنية فتصحح في صلب المتن إن ورد فيها لحن.

سادساً: الاحاطة بالمتن وفهم معانيه بالنقد الداخلي وتدبر محتواه.

سابعاً: الاحاطة بالمصادر والأماكن المتصلة بموضوع التحقيق. وبإيجاز علي المحقق أن يتسلح بخلفية موسوعية عن المخطوط الذي يسعي لتحقيقه.

وبناء علي ما سبق فان يوسف فضل يقول انه اهتدي في عملية التحقيق بالإطار النظري والضوابط التي سنها علماء التحقيق فيما سبق من النقاط السبعة, ولكنه يقول انه لم يلتزم التزاماً كاملاً بكل القواعد التي خطها علماء التحقيق. ويقول:"فقد اضطرتني طبيعة النسخ العديدة التي تعاملت معها , وطول مداها الزمني الذي قارب الاربعة قرون, وكثرة من اسهموا في تأليفها وتنقيحها, وقلة المصادر المعاصرة المتعلقة بمخطوطة كاتب الشونة, علاوة علي الايجاز الذي يغلب علي كثير مما ارخت المخطوطة له وغياب دراسات للخلفيات التاريخية لبعض ما تطرقت له كل هذه العوامل اضطرتني إلي أن استحدث لنفسي نهجاً يغلب عليه التفصيل في الحواشي, واستصحاب الروايات الشفوية لملء الثغرات. ولتعذر فهم معاني بعض ابيات الشعر رأيت مراجعة عروضها ليستقيم الوزن وليفهم المعني, وأشرت إلي ما وجد من تعديل في المتن والحاشية"[1].

وفي إطار تحقيق ودراسة المخطوطات يقول المؤرخ المعاصر يوسف فضل حسن انه قد وقف علي مخطوطتين متشابهتين عن تاريخ العبدلاب من تأليف عبد الله بن الارباب من شاور, سليل ملوك العبدلاب, وترجع اقدم المخطوطتين إلي سنة 1915م, وعنوانها **مقدمة تاريخ ملوك العبدلاب المقيمين بمدينة قري المحروسة ونواحيها**, وتتكون هذه المخطوطة من خمس وثلاثين صفحة وذكر المؤلف انه كتبها بناءاً علي توجيه مِن "مَن لا يسعه مخالفته", واعتمد في تأليفها علي كلمات سمعها من الكبار المتقدمين.

اما المخطوطة الثانية, **واضح البيان في ملوك العرب بالسودان**, فلا يعرف تاريخ تأليفها وتتكون من احدي وعشرين صفحة, وذكر المؤلف انه استفاد كثيراً من روايات والده البالغ من العمر تسعين سنة, وكان والده هذا علي صلة وثيقة بالعالم الجليل إبراهيم بن الشيخ عبد الدافع احد منقحي مخطوطة كاتب الشونة والمخطوطة الاخيرة تكاد أن تكون صورة طبق الاصل للروايات التي نشر ترجمة لها باللغة الانجليزية المستر بن في مجلة السودان في رسائل ومدونات 1934م. ويقول

[1] يوسف فضل حسن؛ تاريخ ملوك سنار والحكم التركي المصري في السودان, 1504م – 1872م, تحقيق لمخطوطة كاتب الشونة لمؤلفها احمد بن الحاج ابو علي, ط1, 2018م, ص 31.

يوسف فضل أن هاتين المخطوطتين لم تحققا بعد تحقيقاً علمياً, وقد اشار إلي انه ما زال يعمل ومعه الاستاذ محمد مصطفي النور في تحقيق هاتين المخطوطتين. ويعتبر يوسف فضل أن هاتين المخطوطتين تشتملان علي سجل كامل لملوك العبدلاب ومنجزاتهم وصلاتهم بملوك الفونج. ورغم أن هاتين المخطوطتين تعتمدان اعتماداً كلياً علي الروايات الشفوية المتواترة عن اخبار تلك المملكة وعن قبيلة العبدلاب في اول القرن العشرين, فان ما جمعته شعبة ابحاث السودان ممثلاً في كتاب تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية, لا يختلف كثيراً عن مادة هاتين المخطوطتين وهي تحتاج إلي تحقيق وتمحيص.

جهود المؤرخ محمد إبراهيم ابو سليم:

ومن خلال ما اتضح عبر جهود يوسف فضل حسن فان المصدر الرئيسي لحركة التأليف هو كتاب الطبقات الذي ترجم لعلماء السودان, وأورد من خلالها معلومات كثيرة عن النشاط الفكري للبلاد, والذي ساهم في تحقيقه يوسف فضل ومحمد إبراهيم ابو سليم في اصدارة منقحة باسم **الذيل والتكملة** . ومن حركة التأليف أيضاً المخطوطة التي كتبت في العهد التركي عرفت بمخطوطة كاتب الشونة ضمنها تراجم لبعض اعلام الفونج.

ومن المؤلفات في التصوف **مخطوطة في طريق اهل الله لإسماعيل الدقلاشي** جمعها يوسف فضل ومحمد إبراهيم ابو سليم.

وهذا المؤلف يعكس المستوي الجيد الذي بلغته حركة التأليف آنذاك, وفيه يتناول موضوعات في آداب الطريقة وآداب التلاميذ مع الشيوخ, وأنواع الطرق والرؤيا والمعرفة وأقسامها, وأنواع الرياضة الصوفية, والمقامات وعلاماتها والكرامات وما إليها. كما يعتبر كتاب ود ضيف الله نفسه والذي ساهم ابو سليم في تحقيقه مع يوسف فضل نموذجاً طيباً يعكس حال التأليف في اواخر عصر الفونج.

ومن ابرز ما اهتم به محمد إبراهيم ابو سليم في مجال تحقيق المخطوطات هو دراسة وثائق تمليك الارض التي صدرت عن سلاطين الفونج والفور ومن دونهم من الحكام. ففي كتابه المحقق **الفونج والارض: وثائق تمليك** نشر نحو 32 وثيقة كتبت بين رجب 1141/ يناير – فبراير 1729 إلي 4 ذي القعدة 1226/ نوفبر 1820. وتبدأ الوثيقة بالبسملة والحمدلة مثل حجة سلطانية ووثيقة مملوكية, ويتبع ذلك عبارة تبجيل السلطان ومعلومات مفصلة عن نوع الوثيقة, ويورد اسماء الشهود

فيها, ويوضح ختم السلطان في أعلاها وقد اتبع ابو سليم كتابه بتحقيقين منفصلين نشرا في كتابين هما **الفور والأرض و الأرض في المهدية**[1].

أهم الجهود التي وجدت عناية فائقة من محمد إبراهيم ابو سليم هي دراسة فترة المهدية بالسودان, وقد استفاد ابو سليم من عمله كأمين لدار الوثائق القومية وجمع عدد كبير من المخطوطات , وقد حقق لمنشورات الامام المهدي ونشرها في كتاب ضخم بعنوان **الآثار الكاملة للإمام المهدي** ونشر في سبعة مجلدات. وتابع ابو سليم اهتمامه بالمهدية واصلها ومظاهرها وتجلياتها الفكرية فنشر كتابه **الحركة الفكرية في المهدية.**

<u>جهود المؤرخ مكي شبيكة في تحقيق المخطوطات:</u>

ابتدأ بروفيسور مكي شبيكة التحقيق بكتاب **تاريخ ملوك السودان** الذي كتبه الشيخ احمد ابن الحاج ابو علي, كاتب الشونة, ونقحه وأضاف إلي مادته ثلاثة اخرون. وحقق مكي شبيكة الكتاب وعلق عليه واعده للنشر, وصدر الكتاب في سلسلة مطبوعات كلية غردون التذكارية بالخرطوم, وكان شبيكة احد اعضاء هيئة التدريس بتلك الكلية, وطبع الكتاب في مطبعة ماكوركودايل الحكومية بالخرطوم سنة 1947م[2].

شمل الكتاب علي مقدمة من خمسة عشرة صفحة قدم فيها المحقق تعريفاً ضافياً بالكتاب ونسخه ومؤلفيه, ثم يأتي متن الكتاب في تسع وثلاثين صفحة, اما الجزء الثالث الذي يشغل نحو ثلاث وثلاثين صفحة فقد خصص للتعليقات, وهي هوامش لشرح ما غمض أو اضافات من الكتب أو الوثائق المحفوظة في دار الكتب المصرية. وتحتوي التعليقات علي معلومات قيمة تحصل عليها المحقق من وثائق دار الكتب أو الروايات الشفاهية. وقد عرف الكتاب باكثر من عنوان, كما كان عدد النسخ الخطية التي اعتمد عليها شبيكة محدوداً إذا ما قورن بما اعتمد عليه من جاء بعده, اذ لا يتعدي ثلاث نسخ.

وتلي ذلك أن نشر الشاطر بصيلي عبد الجليل وهو موظف مصري الجنسية كان يعمل بحكومة السودان تحقيقاً جديداً في عام 1961م اعتمد فيه علي خمس نسخ من مخطوطة كاتب الشونة, بذل فيها جهداً علمياً كبيراً, والتزم فيها بقواعد التحقيق, مع اضافة مجموعة من الملاحق.

---

[1] يوسف فضل حسن؛ الكتابة التاريخية في سودان وادي النيل, ملامح من بداياتها, ملاحظات حول تطورها, ورؤي حول مستقبلها, ورقة علمية قدمت في الملتقي العلمي الثاني للجمعية التاريخية السودانية الذي انعقد 23 أكتوبر 20158م بقاعة الشارقة بجامعة الخرطوم, ص 43 – 44.

[2] نفس المرجع؛ ص 41.

وقاد يوسف فضل في عام 1992م تحقيقاً جديداً لهذه المخطوطة اعتمد فيه علي نحو عشر نسخ مختلفة, وجدت في مكتبات دار الوثائق القومية بالخرطوم, والشريف يوسف الهندي, والقاهرة, واستنبول , وباريس , والمتحف البريطاني, ومدرسة الدراسات الشرقية والافريقية بلندن, واكسفورد, وفينا , وباسانو, ونوتنقهام, وهي اقدم هذه النسخ واقربها إلي الاصل. وقد صدر هذا التحقيق الجديد للمؤرخ المعاصر يوسف فضل في اغسطس 2018م بعنوان: **تاريخ ملوك سنار والحكم التركي المصري في السودان.**

وضمن جهود مكي شبيكة فقد اصدر كتاب **السودان في قرن** أو السودان عبر القرون وهو مسح تاريخي عام وذو فائدة عظيمة استعرض فيه المؤلف الفترة بين عامي 1819م –1919م. وكذلك اعد كتاب كتابه ذا القيمة العلمية العظيمة الرفيعة السياسة البريطانية في السودان 1882م – 1902م وقد اعتمد علي الوثائق البريطانية. وصدر عام 1952م باللغة الانجليزية[1].

حركة التأليف المخطوط عند الباحثين في عصر الفونج:

إن الحقيقة العامة لحركة التأليف عند الباحثين عن عصر الفونج كانت قاتمة. وقد بني هؤلاء تصورهم علي ما ورد من اشارات في طبقات ود ضيف الله عن اسماء كتب لم يقفوا عليها وبالتالي لم يعرفوا مستواها ولكن ما عثر عليه مؤخراً في ارشيف دار الوثائق القومية من مؤلفات خطية ربما تغير هذه النظرة القاتمة, ونشير هنا إلي بعض الامثلة التي تدعم ما ذهبنا اليه:

1- لم يتجاوز ما ذكره ود ضيف الله عن المؤلفات في التصوف ما تم ذكره سابقاً, ولكن **كتاب إسماعيل الدقلاشي في طريق اهل الله** اكد نضوج التأليف في التصوف ودراية العلماء بأسسه والاتصال بالفكر الصوفي الاسلامي دراسةً واستيعاباً وتاثراً ونقداً.

2- ذكر ود ضيف الله عن عالم سوداني أن علماء الجزيرة اذعنت له كأنه ابن عرفة وأضاف انه الف كتباً في الفتاوي والاحكام, انتفع بها الناس , وتلقوها بالقبول. وظل ما هو معروف عنه لا يعدوا هذا, الا أن مخطوطة الفقه منسوبة لهذا العالم أوضحت لنا دقة مؤلفها وثقافته الفقهية الواسعة, ودرايته بآراء علماء المذاهب.

3- وصف ود ضيف الله محمد ود عدلان بأنه شيخ الاسلام والمسلمين, خاتمة المتكلمين, واشار إلي قراءته لعلم الاخلاق والمنطق والاصول علي كتب السنوسية حتى "شُدَّت اليه الرحال من سائر

[1] يوسف فضل؛ الكتابة التاريخية, مرجع سابق, ص45.

الاقطار", "سارت الناس بكتبه وعلمه شرقاً وغرباً إلي دار برنو"[2], وذكر من تصانيفه شرحه الكبير علي "أم البراهين" .

4- كان علم القراءات من اكثر العلوم انتشاراً في عصر الفونج , وقد نشط العلماء لمعرفة كل دقائق هذا العلم , ويذكر الشيخ يوسف إبراهيم النور أن هؤلاء كانوا يبثون هذا العلم بين تلامذتهم علي نحو ما كان يدرسها ائمة هذا العهد كلشاطبي وابن الجزري والداني, واضاف أن هؤلاء كان لهم تآليف جيدة تدل علي ازدهار هذا العلم في تلك العصور, وأشار ود ضيف الله قبله إلي بعض هذه المؤلفات , ولكنها كانت مفقودة, ولكن جهود دار الوثائق القومية لجمع التراث اثمرت عن الكشف علي مخطوطات اكدت ما ذهب اليه هذا المؤرخ والشيخ إبراهيم النور[3].

نماذج لبعض الكتابات التاريخية الحديثة المعاصرة:

نسبة إلي توفر المادة التاريخية لانتشار الكتب المطبوعة وفتح مكنوز دور المحفوظات من الوثائق , زاد الاهتمام بتاريخ السودان. فقد أرَّخ حسن احمد إبراهيم للغزو التركي المصري وأثره علي السودان في كتابه **محمد علي والسودان**, ونشر في عام 1972م. وفي كتابه **البريطانيون: تجارة الرقيق والرق في السودان** The British: the Slave Trade and Slavery in Sudan.

حلل المؤرخ عبد الله علي إبراهيم في كتابه **الصراع بين المهدي والعلماء** الخلاف الذي نشب بين علماء الدين الذين عارضوا دعوة المهدية, وأنصار المهدي. وقد وصف المهدي هؤلاء العلماء بعلماء السوء. ومن الوثائق المهمة لهذه الفترة والتي درست وحققت **مذكرات يوسف ميخائيل**, للكاتب القبطي في العهد التركي المصري, وقد تعهد هذه المخطوطة التي تمثل مصدراً مهماً في تاريخ دولة المهدية بالتحقيق والدراسة كل من الدكتور صالح محمد نور والبروفيسور احمد إبراهيم ابو شوك[1].

ونسبة إلي توافر العديد من المواد الارشيفية عن تاريخ البلاد في العهد الثنائي إلا أن الكتابة فيه كانت قليلة نسبياً. ويعزي ذلك إلي قانون دور الوثائق التي تحرم النظر في أي وثيقة قبل مضي خمسين عاماً, وقد خفضت إلي ثلاثين عاماً . كما أن الضرورة الموضوعية جعلت العديد من المؤرخين يخشون الكتابة في قضايا معاصرة, ولذلك فقد كتبت العديد من الكتب باللغة الانجليزية وبعضها كان من انتاج اساتذة العلوم السياسية مثل **الامبريالية والحركة الوطنية** لمدثر عبد الرحيم ونشر في 1969م, **والإدارة البريطانية والحركة الوطنية السودانية 1915م – 1936** لجعفر محمد

---

[2] يحي محمد إبراهيم؛ المخطوط السوداني, مرجع سابق, ص 184.

[3] دار الوثائق القومية؛ متنوعات 3167/242/1.

[1] نفس المرجع, ص 44-45.

علي بخيت, ونشر في عام 1972م, **وجنوب السودان من الصراع إلي السلام** لمحمد عمر بشير 1974م, **والتقليد والتجديد** لفرانسيس دينق 1972م.

ومن الكتابات الحديثة التي تناولت الاستعراب والاسلمة في السودان والتي اعتمد جزء كبير منها علي بعض المخطوطات , كتاب مصطفي محمد مسعد الذي أرخ لعلاقات مصر العربية وبلاد النوبة الاسلامية في كتابه **الاسلام والنوبة** ونشر بالقاهرة 1961م. وكتب عبد المجيد عابدين كتاب **تاريخ الثقافة العربية في السودان** ونشر عام 1953م. وحلَّل يوسف فضل تأثير الهجرات العربية علي سودان وادي النيل في كتابه **العرب والسودان من القرن السابع حتى مطلع القرن السادس عشر**, والذي نشر بالانجليزية عام 1967م, ثم اعد دراسة موجزة عن تاريخ الممالك الاسلامية نشرها عام 1971م بعنوان **مقدمة في تاريخ الممالك الاسلامية في السودان الشرقي.** وكذلك كتب ضرار صالح ضرار عن **هجرة القبائل العربية إلي مصر والسودان** ونشر بالرياض عام 1992م.

ويقول يوسف فضل في كتابه **الكتابة التاريخية في السودان**, أن هنالك عدد من المؤرخين سماهم بالمؤرخين التقليديين والهواة والذي يري انهم اسهموا بمقدار كبير للكتابات التاريخية, منهم محمد عبد الرحيم الانصاري, المحنك, والموظف المدني في خدمة حكومة السودان, الذي الف عدداً من الكتابات منها **نفثات اليراع في الادب والتاريخ والاجتماع 1936 والصراع المسلح علي الوحدة في السودان, والنداء في دفع الافتراء 1955, وابطال السودان** وهذا الكتاب معجم للشخصيات السودانية ما زال مخطوطاً ومحفوظاً في دار الوثائق القومية. ومن المؤرخين التقليديين محمد صالح ضرار الذي كتب عن قبائل البجة في اكثر من مؤلف, وعن **حياة تاجوج والمحلق**, 1965م. ومن المؤرخين التقليديين أيضا الفحل ود الفكي الطاهر الذي كتب عن تاريخ وأصول العرب بالسودان 1976م, وعثمان حمد الله كتاب **سهم الارحام.**

منهجية الكتابة في المدرسة التاريخية المعاصرة بالسودان:

المدرسة التاريخية المعاصرة بالسودان مزجت بين المنهجية العربية الاسلامية التقليدية والمنهجية الغربية الآخذة بأساليب البحث التاريخي الحديثة والمعتمدة علي الوثيق كأساس مصدري. وقد نجحت هذه المنهجية في سعيها لارساء قواعد بحث علمية ثابتة, وأصدرت انتاجاً علمياً جماً تغلب عليه الموضوعية والخصوصية السودانية, واختارت منهجاً صارماً في اختيار المادة الوثائقية وفي تحقيق الكتب[1].

[1] محمد سعيد القدال: المدرسة التاريخية السودانية في "**الانتماء والاغتراب**", بيروت 1992م, ص 18 وما بعدها.

قوبلت المدرسة التاريخية الحديثة بنقد واسع ليس في السودان فحسب وإنما علي امتداد الوطن العربي, وربما كان التعرض إلي وجوه هذا النقد مفيداً لتوضيح بعض سمات هذه المدرسة السودانية. ومع ما كان للمنهجية الغربية من فضل فإنها لم تنج من معارضة اخذت صوراً متعددة منها مثلاً:

1- تري المدرسة الاسلامية العربية في بعض توجهات المنهجية الجديدة خطراً علي الارث الاسلامي من التشويه, ويري هؤلاء أن خير عاصم لفكرهم من الضياع هو التمسك بماضي الاسلام وإحياء تراثه.

2- يرفض جيل المؤرخين العرب التفسيرات الاوربية للأحداث التي صاحبت فترة الاستعمار الاوربي للعالم العربي, ويدعون إلي ضرورة دراستها وإعادة قراءة تاريخها علي ضوء المعطيات الوطنية.

3- إن الامبريالية الغربية في سعيها لبسط نفوذها مستخدمة آلاتها التقنية وسطوتها الاقتصادية ونفوذها الفكري الكاسح , لم يبق امامها – بعد أن قلمت اظافر المعسكر الاشتراكي– الا الاقطار الاسلامية وقد ايقظ تهديد الغرب الاسلام من سباته, ودخل الاسلام حلبة الصراع الدولي متحدياً. أنها أزمة هوية ووعي بالذات, ومن ثم سعي المؤرخون لاستنطاق التاريخ لصون العقيدة الاسلامية من الاستلاب الفكري[2].

4- من المبالغة في التقليد الاخذ بنظام التحقيب الاوربي مثل: العصور القديمة , الوسطي, الحديثة, واطلاقها علي التاريخ المماثل في العهود الاسلامية,فالعصور الوسطي مثلاً تعني في التاريخ الاوربي الفترة الممتدة من القرن الخامس الميلادي إلي القرن السادس عشر, وهي بذلك تشير إلي محتوي تاريخي خاص بأوربا يبدأ بانتهاء العصور الكلاسيكية اليونانية والرومانية وينتهي ببداية العصر الحديث عند مطلع القرن السادس عشر. ولعل في وصف هذه الحقبة بالظلمة ما يوحي بوصم الاسلام وحضارته بذات الصفة وقد ظهرا وازدهرا في هذه الفترة. وإذا قبلنا هذه التقسيمات التحقيبية كمقياس نال هذا الوصم شيئا من السيرورة. والمراد هنا أن هذه التقاسيم لا تتفق مع معطيات التطورات التاريخية لبعض البلاد العربية والاسلامية, فالعصر الحديث يبدأ في السودان مثلاً في عام 1821م وليس في مطلع القرن السادس عشر.

النقد لبعض رواد المدرسة التاريخية المعاصرة:

كانت بدايات النقد للمدرسة التاريخية السودانية لبعض اعمال البروفيسور مكي شبيكة عند تثمين **كتاب السودان في قرن** بأنه انجاز علمي مهم لأنه يعتمد علي الوثائق الاصلية, إلا انه قليلاً ما

[2] يوسف فضل ؛ ملامح من الاتجاهات العامة للنهج التاريخي للدراسات العليا في الجامعات العربية, ندوة اقسام التاريخ في الجامعات العربية, عمان – الاردن 1994م, ص 53.

يتعرض للنظريات والأفكار أو يتعرض إلي وصف النظم وتحليلها. ويخلص ابو سليم إلي أن شبيكة "يعطي القارئ الحرية فيتركه ليصل الي ما يراه علي أساس ما يعطي من البيانات لا بما يعرضه أو يمليه عليه, فيفصل بين الحقائق والآراء ويذكر اين وجد هذا وأين وقف علي ذلك"[1].

ويقول يوسف فضل: "رغم أن محمد سعيد القدال لا يعيب علي شبيكة اعتماده علي الوثائق الاصلية كأساس للدراسات التاريخية, الا انه وقف طويلاً عند عبارتي ابو سليم "عدم التعرض للأفكار والنظريات", و"النظرة التاريخية البحتة بما لها وعليها", وخلص القدال إلي أن الحياد المطلق يجعل المؤرخ آلة "صماء" لا علاقة له بصراعات المجتمع الذي يعيش فيه. ويري يوسف فضل أن ما فعله مكي شبيكة لا يختلف عن فلسفة بعض المؤرخين الاوربيين مثل فون رانكه في هذا الشأن, فقد كان الاهتمام الاول لهذا الفريق هو الكشف عن الحقيقة التاريخية لإثباتها[2].

وقد اثار هذا الموضوع جدلاً واسعاً بين المؤرخين في بريطانيا في سبعينات القرن الماضي علي المستويين الاكاديمي والعام. ورأت مارجريت تاتشر رئيسة مجلس الوزراء البريطاني حينها أن تؤسس الكتب المدرسية علي الحقائق التاريخية المجردة دون التأثر بانتماءات المؤرخين الفكرية وايديولجياتهم.

ومن الآراء النقدية يتعرض ابو سليم لموقف شبيكة من الروايات الشفوية, حيث يري انه قليل الثقة بها , وحقيقة الامر أن مؤلفات شبيكة لم تُحِجه علي الاعتماد عليها. وقد استشهد يوسف فضل في نقاشه لهذه المسالة في كتابه الكتابة التاريخية في سودان وادي النيل , استشهد بتحقيقه لكتاب **تاريخ ملوك السودان** لتأكيد انه استعان بالروايات الشفوية متي كانت هناك حاجة إليها. إن هذا الموقف يغلب علي مؤرخي السودان الحديثيين, اذ نجد عندهم تحيزاً قوياً ضد المصدر الشفوي وينزلونه في مرتبة دنيا في التسلسل الهرمي للمصادر. وعلي خلاف هذه الفئة فان المؤرخين التقليديين والهواة جعلوا الاخبار والروايات التاريخية الشفوية مصدهم الأساسي وهو ذات المصدر الذي اعتمد عليه المؤرخون العرب في اولي مؤلفاتهم واستخدموا في تحقيقه منهجية علم الحديث.

كما أن منهجية الاعتماد علي الروايات الشفوية كانت سائدة في اوربا قبل انتصار النهج الوثائقي كنظام اساسي للمؤرخ المتخصص خلال القرن التاسع عشر. والواقع أن الاعتماد علي الروايات الشفوية تفرضه احايين كثيرة الفترة التاريخية المقصودة وعدم توافر مصادر وثائقية لها. ولعله من

---

[1] محمد سعيد القدال؛ مرجع سابق ,ص 16- 19.

[2] يوسف فضل؛ ملامح, مرجع سابق,61-62.

الملاحظ أن الروايات الشفوية مثلت مصدراً اساسياً مهماً في معظم كتابات يوسف فضل, ويقول يوسف فضل أن ود ضيف الله قد سبقه في ذلك عام 1809م, وتاريخ ملوك سنار والحكم التركي المصري في السودان, الذي وضعه خمسة مؤلفين, ونعوم شقير الذي جمع من خلال مهامه في الاستخبارات المصرية قدراً معتبراً من الشواهد التاريخية الشفوية عن دولة المهدية وضمنها **جغرافية وتاريخ السودان 1903م** الذي حققه محمد إبراهيم ابو سليم. وماكمايكل في كتابيه قبائل شمال ووسط كردفان, وتاريخ العرب في السودان (جزءان 1922م) حيث افاد من كتب النسب والأخبار القبلية التي جمعت في مطلع القرن العشرين , وكذلك مجلة السودان في رسائل ومدونات التي صدر اول اعدادها عام 1918م والتي تعتبر مستودعاً معرفياً مهماً عماده كثيراً من الروايات الشفوية.

يقول يوسف فضل أن الاعتماد علي الرواية الشفوية لبعض الفترات التاريخية امر لاغني عنه لضعف المصادر المكتوبة من جهة, ولتعدد المجتمعات غير الكتابية من جهة اخري. ويمكن تلافي القصور الذي في التعامل مع المصادر الشفوية, الذي شكي منه عدد من الباحثين, بمزيد من التاهيل والتدريب العلمي واستحداث مناهج للنقد التاريخي لهذه المصادر[1]. وقد خطت جامعة الخرطوم خطوة رائدة في هذا المجال عندما اسست وحدة ابحاث السودان عام 1963م وعهدت لها, ومن بعدها لمعهد الدراسات الافريقية والآسيوية عام 1972م, الاهتمام وتسجيل الروايات الشفاهية والفولكلور وكل الماثورات الشعبية, من حكايات واشعار وامثال واغاني ومعتقدات وعادات وسلوكيات شعبية وتراث مادي, والتي تشكل في مجملها مصدراً مهماً لتاريخ الثقافة الشعبية وسلوكيات المجتمع.

يري الباحث أنه لا بد من الاعتماد بصورة اساسية علي الوثائق التاريخية كأساس للكتابة التاريخية الاصيلة وان لا يعتمد الباحث في كتاباته التاريخية علي الروايات الشفوية بشكل أساسي, ولكن هذا لا يمنع أن يعتمد الباحث علي الروايات الشفوية حسب مقتضيات العصر أو الفترة التي قد لا تتوفر فيها الوثائق كما يري يوسف فضل . ورغم أن هنالك تحفظات من بعض المؤرخين المحافظين حول الاعتماد علي الرواية الشفوية إلا أنه احياناً يكون استخدامها ضرورياً لسد كثير من الثغرات التي لم يجد المؤرخ لها وثائق أو معلومات تغطيها لذلك فهي مهمة في حال الاجتهاد والتعليل من خلال منهج البحث التاريخي الذي يخول للباحث أن يجتهد في ملء ذلك الفراغ.

أدي تركيز المدرسة التاريخية علي الوثيقة والاعتماد عليها إلي اهمال التنظير, فالوثائق لا تنق وإنما تستنطق. وقد وجد هذا النقد رواجاً لدي بعض المؤرخين الماركسيين, والواقع انهم كانوا من

[1] يوسف فضل؛ ملامح, مرجع سابق, ص61 – 62.

القلة الذين حاولوا اسقاط منهج نظري علي دراساتهم لتاريخ السودان. ومن اسطع النماذج لهذه الدراسات اعمال البروفيسور محمد سعيد القدال في كتاب **تاريخ السودان الحديث** وكتاب **السياسة المالية للدولة المهدية**. كما ظهرت دراسات في **التاريخ الاجتماعي لدولة الفونج, الفور, وايضاً العهد التركي المصري**, للأستاذ تاج السر عثمان. ومع ذلك فان إصرار اصحاب هذا التوجه علي ضرورة الانطلاق من ايديولوجيا لدراسة التاريخ امر ينبغي التعامل معه بحذر, اذ قد يؤدي إلي اسقاط النظرية علي الواقع التاريخي المدروس ولي عنقه ليستجيب للنظرية. وكما يقرر دكتور قيصرموسي الزين استاذ التاريخ بمعهد الدراسات الافريقية والآسيوية "فلا بد من التمييز بين الجوانب الاجتماعية والاقتصادية كموضوع محوري في الدراسة التاريخية لأي منطقة أو فترة وبين التفسير الايديولوجي الاجتماعي والاقتصادي للتاريخ". فالايديولوجيا مدخل قد يتعارض بطابعه الفلسفي مع المنهج التاريخي العلمي, الذي يقوم اساساً علي الاستقراء وليس الاستنباط, مع قابليته لقبول قدر من الاستنباط لا بد أن يكون محدوداً والا فقد علم التاريخ طابعه التجريبي الذي يمنحه وصف علم اجتماعي. والواقع أن كثير من الفلاسفة والمفكرين العقائديين قد وظفوا دراسة التاريخ لتدعيم آرائهم ومواقفهم الايديلوجية, مما يعني بالضرورة خروجهم علي المنهجية التاريخية العلمية بقواعدها الصارمة.

ومن هنا يتبين أن المدرسة التاريخية السودانية المهتمة بالكتابة التاريخية التي تشمل الجوانب السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية ومحاولة تفكيك الحدث التاريخي لسبر غوره وتحديد كنهه وماهيته, لم تخل من اشراقات واهتمامات نيرة ومبكرة, ويكفي أن نذكر منها دراسات ابو سليم حول حول علاقات الارض في السودان في عهد مملكة الفونج, الفور, وفي عهد الدولة المهدية, ودراسته حول الساقية, وهي دراسة قامت علي واحدة من أهم ادوات الانتاج في شمال سودان وادي النيل, بالإضافة للكتابات التاريخية التي تتخذ من المدخل الاجتماعي الحاضر مدخلاً لسبر غور الماضي مثل القتل الطقسي عند الفونج والشلوخ: اصلها ووظيفتها في سودان وادي النيل, وغيرها من الدراسات. لقد اصبح السرد الوصفي للأحداث التاريخية لدي المنشغلين بعلم التاريخ في السودان مجرد سرد قصصي ربما لا تضر عدم معرفته وقد تفيد, وأصبح مألوفاً أن يبحث المؤرخون عن أساس الظواهر التاريخية ودوافعها وتشابكاتها, ومع ذلك فان من نافلة القول أن المنهجية التاريخية السودانية ما زالت قاصرة في الكشف عن الاساس الاقتصادي والاجتماعي للتحولات والأحداث التاريخية وما زال امامها الكثير لتقوم به في هذا المجال.

يري النقاد أيضاً أن المدرسة التاريخية السودانية تفتقر إلي النظرة الشمولية للحدث التاريخي وهو امر ضروري لفهم السياقات التي يتشكل فيها الحدث التاريخي: الاجتماعي , الاقتصادي, الديني, الثقافي, الخاص بالحدث, والعام الذي يؤثر علي كل الاحداث في الفترة التاريخية, تأثير الحدث نفسه علي بقية الاحداث في فترته داخل حدوده الجغرافية وخارجها, تاثره بالمقابل, النظر للحدث كنتيجة لاحداث سابقة, وكسبب للأحداث اللاحقة, وغير ذلك. فالمؤرخ لهجرة العرب إلي سودان وادي النيل لا يمكن أن يعزلها عن ظهور الاسلام في الجزيرة العربية, وكيف شكل دافعاً للعرب لفتح بلدان جديدة, كما لا يمكن عزلها عن الهجرات العربية إلي سودان وادي النيل قبل ظهور الاسلام, أو عن الاحداث التي تقع في العالم العربي نفسه آنذاك مثل عزل المعتصم للعرب ومنعهم من "العطاء" , أو ما انتجته معاهدة البقط من تطورات علي مستوي التجارة الحدودية وارتباط الاسلام والعروبة بتحسين المكانة الاقتصادية أو الاجتماعية, أو غيرها من السياقات المتشابكة والمتوازية الآنية والتعاقبية والتي تؤدي في مجملها لبروز الظاهرة التاريخية.

إن انشغال المدرسة التاريخية السودانية عن النظرة الشمولية للظاهرة التاريخية حصر جهودها في دراسة التغيرات السياسية التي تطرأ علي النظم والمؤسسات, فكتب المؤرخون عن الاحداث والوقائع والابطال والانتصارات والهزائم, دون محاولة تفكيك العوامل التي انتجت هذه التغيرات, وهكذا اصبح من المسلم به في الكتابة التاريخية في السودان تقسيم تاريخ البلاد إلي حقب وعهود, تجزأ هي نفسها إلي جزئيات صغيرة, فقسمت فترة الحكم التركي المصري – علي سبيل المثال– إلي عهود تطابق الفترات التي حكم فيها ولاة مصر..... وكانما وفاة حاكم في مصر ومجئ آخر تؤدي إلي تغيير في السياسة الاستعمارية.... وحلت تلك اللعنة "لعنة التحقيب" علي عهد كل حكمدار في السودان فكتب تاريخ الحكم التركي المصري في السودان مقسماً إلي عهد خورشيد باشا فترة ابو ودان باشا, فترة محو بك.... وهكذا.

مقترحات حول مستقبل الكتابة التاريخية في السودان:

بناء علي ما سبق من تباينات حول موقف المؤرخين السودانيين المعاصرين حول الكتابة التاريخية أو تحقيق ودراسة المخطوط فان قضية الانتقال إلي كتابة تاريخية جديدة كما يري بروفيسر احمد ابو شوك نقلاً عن يوسف فضل: والذي لخصها في بأنها ترتبط ببعدين متلازمين هما "المنهج التكاملي والموضوعات التاريخية المتنوعة" والصلة بين الاثنين تشكل ما يعرف بالمعرفية التاريخية التي لا تعيد مفردات الماضي كما كانت عليه بل تقوم علي استقراء الاحداث التاريخية والتثبت

من صدقيتها ونقدها وتحليلها ثم إعادة تركيبها في نمط سردي لتكون اقرب إلي الواقع واكثر قدرة علي توثيق مخرجات العلاقة الجامعة بين الماضي والحاضر وفق حركة ارتدائية[1]. والمهم في الامر انه لا بد من العمل علي تغطية ما بدا من نواقص وفتح آفاق معرفية جديدة لدراسة التراث المخطوط بالسودان, والاهتمام بالكتابة التاريخية الاصيلة بالتحقيق والتمحيص والتدقيق, كما انه من أهم الآفاق التي يجب أن يرتادها علم التاريخ هي: تنويع وابتكار موضوعات البحث التاريخي, وتطوير المنهجية التاريخية, وتوسيع دائرة المصادر التاريخية وجمعها, والانتقال بعلم التاريخ في السودان من مستوي التاريخ المعرفي إلي المعرفة التاريخية.

النتائج والتوصيات

النتائج:

يتضح من خلال الدراسة أن التراث المخطوط في السوادن يغطي شتي الموضوعات كالأديان والفقه والسنة والتصوف, والأدب واللغات والعلوم الاجتماعية والطب والفلك والفنون والتاريخ والتراجم وغيرها, مما اسهم اسهاماً كبيراً ومتواصلاً في انتاج كثير من الدراسات والكتب التي حققها وقام بدراستها مؤرخي المدرسة التاريخية السودانية المعاصرة.

ساهم مؤرخي المدرسة التاريخية المعاصرة السودانيين في تحقيق أهم المخطوطات التي أرخت لأهم فترة من تاريخ السودان وهي فترة قيام الممالك الإسلامية, وقد غطت هذه الفترة بتحقيق علمي ساهم في إعادة تصحيح وتنقيح كتابات السابقين من المؤرخين والمحققين. كما أنها شملت أيضا الدراسات الخاصة بفترتي التركية والمهدية, وكذلك بعض التحقيقات في فترة الحكم الثنائي.

تباينت آراء المؤرخين حول التعامل مع الرواية الشفوية والاعتماد عليها في كتابة التاريخ , وقد اتضح أن هناك من يرفضها تماماً وهناك من يقبلها ويعتمد عليها, وهؤلاء يرون أن بدايات الكتابة للمؤرخين العرب كانت باستخدام الروايات الشفوية خاصة في منهجية الحديث التي اعتمدت علي الاسانيد.

تعتبر الدراسة أن هناك كم هائل من المخطوطات في مختلف مجالات المعرفة والعلوم والتي تعتبر ارثا ثراً ومهماً لا بد من جمعه ودراسته والتحقيق فيه.

---

[1] A.Aibrahim, "Sudanese historiography and Oral Tradition", History in Africa,Vol.12,Cambrige University press 1985,pp117-130.

التوصيات:

توصي الدراسة بضرورة الاهتمام بدراسة وتحقيق المخطوطات التي لم تمتد إليها ايادي الباحثين, ولأنها تحمل بتنوعها المضامين الحضارية والثقافية التي تهدف إلي تقوية الانتماء القومي الوطني, والعربي الإسلامي والإفريقي.

نتيجة لذلك التباين في آراء المؤرخين المعاصرين حول الاعتماد علي الروايات الشفوية يري الباحث انه لا بد من الاعتماد بصورة اساسية علي الوثائق التاريخية كأساس للكتابة التاريخية الاصيلة وان لا يعتمد الباحث في كتاباته التاريخية علي الروايات الشفوية بشكل أساسي ولكن هذا لا يمنع أن يعتمد الباحث علي الروايات الشفوية حسب مقتضيات العصر أو الفترة التي قد لا تتوفر فيها الوثائق كما يري يوسف فضل . ورغم أن هنالك تحفظات من بعض المؤرخين المحافظين حول الاعتماد علي الرواية الشفوية إلا أنه احياناً يكون استخدامها ضرورياً لسد كثير من الثغرات التي لم يجد لها المؤرخ وثائق أو معلومات تغطيها, لذلك فهي مهمة في حال الاجتهاد والتعليل من خلال منهج البحث التاريخي الذي يخول للباحث أن يجتهد في ملء ذلك الفراغ.

المصادر والمراجع

(1) دار الوثائق القومية؛ متنوعات 3167/242/1.

(2) اخلاص مكاوي؛ تقرير عن المخطوطات السودانية بدار الوثائق القومية, بتاريخ 2016/8/22م.

(3) محمد إبراهيم ابو سليم؛ الحركة الفكرية في المهدية, دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع, 1981م.

(4) محمد إبراهيم ابو سليم؛ بحوث ومقالات في تاريخ السودان, ط1.

(5) محمد النور بن ضيف الله: الطبقات في خصوص الاولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان: تحقيق يوسف فضل حسن, ط5.

(6) محمد سعيد القدال: المدرسة التاريخية السودانية في "**الانتماء والاغتراب**", بيروت 1992م.

(7) علي صالح كرار وإخلاص مكاوي؛ المخطوطات العربية في دار الوثائق القومية السودانية "فهرس منتقي", وقد شارك في هذا العمل كل من معهد المخطوطات العربية "المنظمة العربية للتربية والفنون والثقافة والعلوم" بالقاهرة, وكذلك دار الوثائق القومية السودانية بالخرطوم, 1422هـ – 2001م.

(8) عبد المجيد عابدين؛ مزالق في طريق البحث اللغوي والادبي وتوثيق النصوص, نقلاً عن بنت الشاطئ, عائشةعبد الرحمن, مذكرات في مناهج البحث, القاهرة 1983م.

(9) يحي محمد إبراهيم؛ المخطوط السوداني: النشأة والتطور, مجلة دراسات افريقية, العدد 13, يونيو 1995م.

(10) يوسف فضل ؛ ملامح من الاتجاهات العامة للنهج التاريخي للدراسات العليا في الجامعات العربية, ندوة اقسام التاريخ في الجامعات العربية, عمان – الاردن 1994م.

(11) يوسف فضل حسن؛ تاريخ ملوك سنار والحكم التركي المصري في السودان, 1504م – 1872م, تحقيق لمخطوطة كاتب الشونة لمؤلفها احمد بن الحاج ابو علي, ط1, 2018م.

(12) يوسف فضل حسن؛ ملامح من مصادر تاريخ مملكة سنار والسلطنات الإسلامية في سودان وادي النيل 1450م – 185م, ورقة علمية قدمت في المؤتمر العلمي حول سنار المدينة – الدولة – الحضارة, الذي نظمته جامعة النيلين بقاعة الصداقة في الفترة من 31 مايو إلي 1 يونيو 2016م.

(13) يوسف فضل حسن؛ الكتابة التاريخية في سودان وادي النيل, ملامح من بداياتها, ملاحظات حول تطورها, ورؤي حول مستقبلها, ورقة علمية قدمت في الملتقي العلمي الثاني للجمعية التاريخية السودانية الذي انعقد 23 أكتوبر 20158م بقاعة الشارقة بجامعة الخرطوم.